

العلاقات الأسرية - بيت النبوة نموذجاً

أستاذ مشارك دكتور. نورة بنت عبد الله بن متعب الشهري

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن/ المملكة العربية السعودية

"Family Relations House of Prophecy model"

Associate Professor .Dr Noura bint Abdullah bin Mtaib al - Shihri

Princess Noura Bint Abdul Rahman University\ Saudi Arabia

naalshehri@pnu.edu.sa

Abstract

The research presents the ethics of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in dealing with his family through the correct ahaadeeth, and his importance in identifying the ethics of dealing with the family, and aims to establish an educational curriculum based on the guidance of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him).

The researcher used the method of analytical presentation of the hadiths in that, and reached the conclusion that: that the treatment of the Prophet peace be upon him with his family had a clear impact in its validity.

The researcher was encouraged to develop a special course on the ethics of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him

Keywords: the wife / Ethics/ Dealing/ Method/ Family/ relations.

المخلص

يعرض البحث أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أسرته من خلال الأحاديث الصحيحة، وتبرز أهميته في التعرف على أخلاقيات التعامل مع الأسرة، ويهدف إلى تأسيس منهج تربوي قائم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد استخدم الباحث منهج العرض التحليلي للأحاديث الواردة في ذلك، وتوصل إلى نتائج منها: أن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أسرته كان له الأثر الواضح في صلاحها.

وقد أوصى الباحث بوضع مقرر خاص عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بهدف الاقتداء به لتنشأ أجيالنا على أخلاق حميدة في التعامل مع مجتمعهم، فيتحصنون بذلك من الوقوع في كثير من المشكلات.

الكلمات المفتاحية: الزوجة ، أخلاقيات ، التعامل ، منهج ، الأسرية ، العلاقات.

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من أمة الإسلام، وأرشدنا إلى اتباع خير الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام، وأصلي وأسلم على هذا النبي الكريم، ذي الخلق العظيم، والقوة الحسنة لأمته، والنموذج البشري الكامل، وهو من تلقى رسالة ربه، فأخذ ينظم واقع المجتمع، ويضع القواعد الشرعية في المجتمع المسلم الجديد؛ حتى يكون نبراساً للعالم من بعده؛ لذا قال عنه المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

أما بعد:

في ظل الظروف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية من تفكك في العلاقات الأسرية، وتحلل القيم الأخلاقية، وغياب أوامر المحبة والرحمة، ونشوب كل أنواع الشقاق بينها؛ وما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة على الأجيال الصاعدة، فيصابون بمختلف الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والنفسية؛ مما يؤدي إلى عزوفهم عن التعلم، وجنوحهم إلى التطرف وممارسة الأفعال التي لا يرضاها الشرع والقانون.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

فأصبح لا مناص للمسؤولين - وكلنا مسؤولون - عن تنشئة الأجيال من تدارك الأمر قبل فوات الأوان، وعليهم أن يستخدموا جميع الوسائل لحماية المجتمع الإسلامي من هذه الأخطار التي تهدده. ومن موقع مسؤوليتي قررت أن أسهم بكتابة بحث عنوانه: "العلاقات الأسرية بيت النبوة أنموذجاً"، وهدفه تدعيم البنى الدفاعية الأساسية في الإسلام، والتي من أهمها: الأسرة نواة المجتمع.

أسباب اختيار موضوع البحث:

- ١- الأسرة لها أهمية كبرى في الحياة المعاصرة؛ لما يعترى الأسرة المسلمة في وقتنا الحاضر من مشكلات تتجلى:
- ١- فيما تتأثر به من وسائل الإعلام وقنوات التواصل المتعددة، والندوات والمؤتمرات والتي هدفها العمل على التفكك الأسري.
- ٢- تُعدّ المرأة النواة الأساسية لبناء الأجيال؛ لذا حاول العلمانيون و المستشرقون أن يلصقوا بالإسلام تهمة ظلم المرأة، وحاولوا استغلالها في مخططاتهم بصورة بشعة لهدم الأسرة.
- ٣- جهل قسم كبير من المسلمين بالحقوق والواجبات الأسرية.

لذا يهدف البحث إلى:

التعرف على الدلالات التربوية في هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقيات التعامل الزوجي في بيت النبوة، وأخلاقيات التعامل في تربية الأولاد للوصول بهم إلى بر الأمان، ومن ثمّ التعامل مع الوالدين بما لهم من حقوق على الأبناء، مدعماً ذلك بالشواهد والأمثلة من البيت النبوي الشريف.

وتبرز أهمية البحث من خلال:

- دحض ما يُنشر في الثقافات غير الإسلامية من دعاية كاذبة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول ما يتعلق بزواجه وزوجاته، من خلال بيان كيفية تعامله صلى الله عليه وسلم مع زوجته.
- تسهم الدراسة في تأسيس منهج تربوي للبناء الأسري تأسيساً قائماً على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع الزوجة والأولاد والوالدين.
- تساعد هذه الدراسة على تحقيق حياة أسرية تنسم بالرفق والرحمة والسكينة.
- تتجسد أهمية هذه الدراسة في كونها دليلاً واضحاً وشاملاً للتربية الإسلامية للوالدين وغيرهم من المرين في جميع شؤون الأسرة بمختلف أحوالها وتنوع أفرادها.

منهج البحث:

وكان منهجي في البحث الآتي:

- ١- اعتمدت على أحاديث الصحيحين؛ حرصاً على صحة المستندات التاريخية التي يُبنى عليها البحث، ففيهما الكثير من الأحاديث المتعلقة بالبحث، وما فيهما يكفي في هذه المرحلة، التي أرنو من خلالها تأسيس البحث وتقعيد أركانه.
 - ٢- جمعت ما وقفت عليه من أحاديث تتعلق بموضوع البحث، ثم رتبته على مباحث، وقسمت بعض المباحث إلى مطالب.
 - ٣- علقت بتعليقات توظف الروايات لخدمة البحث، وحرصت في بعض المواضع على توجيه هذه التعليقات إلى القارئ (رب الأسرة)؛ ليستفيد منها قذوة في حياته، ويتخلق بخلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعامله مع زوجته، وأبنائه، والديه.
- خطة البحث: وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وتوصيات، فالفهارس، وتفصيل الخطة على النحو

الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث، ومنهجي في البحث، والخطة التي سرت عليها.

التمهيد: وفيه مطلبان، وثلاثة مباحث:

المطلب الأول: مفهوم الأسرة.

المطلب الثاني: أحكام الأسرة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية.

المبحث الأول: أخلاقيات التعامل الزوجي في بيت النبوة.

المبحث الثاني: أخلاقيات التعامل في تربية الأولاد.

المبحث الثالث: أخلاقيات التعامل مع الوالدين بما لهم من حقوق على الأبناء.

ثم الخاتمة، فالتوصيات، فالفهارس.

هذا: وأسأل الله أن ينفع به وأن يتقبله، وأن يرزقني والمطلع عليه العمل والتأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما ورد

فيه ... وصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

التمهيد

المطلب الأول: مفهوم الأسرة.

الأسرة لغة: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَنْفَقُ بِهِمْ^(١).

وإصطلاحاً: "هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل

الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة"^(٢).

المطلب الثاني: أحكام الأسرة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أحكام الأسرة في القرآن الكريم:

إذا نظرنا في القرآن الكريم وجدنا أن هناك الكثير من الآيات التي تتحدث عن أهمية وجود الأسرة في حياة الإنسان، وأن الحياة

لا تستقيم إلا بوجودها، فجدد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣). وهنا يمتد علينا ربنا سبحانه أن جعل للرجل من يعينه على كبد الحياة، وهي الزوجة

الصالحة التي تحقق له السكن والمودة، وهذا في الحقيقة أساس الأسرة، فأساس الأسرة الرجل والمرأة.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٤). وهنا أيضاً يؤكد سبحانه وتعالى على أهمية الأسرة، وأن الله جعل للمرسلين السابقين أسراً يعيشون فيها.

ثم إن الله سبحانه وتعالى حينما أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبليغ الدعوة أمره بأن يبدأ بأهله وأسرته ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥)، وغير ذلك من الآيات.

أحكام الأسرة في السنة النبوية:

وإذا نظرنا إلى السنة نجد أوامر صريحة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشباب بالزواج؛ لتكوين الأسرة، ففي الحديث «يَا

مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ^(٦)»؛ فأمر أو نذب الناس الذين يقدر

على مؤنة الزواج وكام مستطيعاً إلى الزواج وذلك للتكاثر والتناسل لزيادة عدد المسلمين وتكوين الأسر^(٧).

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ٤٨/١.

(٢) ينظر: أحمد بدوي، "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية"، (ط١)، بيروت- لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٣م)، ص ٥٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) سورة الرعد ٣٨.

(٥) سورة الشعراء ٢١٤.

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه". كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة، ٣/٧ برقم ٥٠٦٥. والإمام مسلم في "صحيحه". كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، ١٠١٨/٢ برقم ١٤٠٠.

(٧) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٦٢/٧). فتح الباري لابن حجر (١٢٠/٩).

المبحث الأول

أخلاقيات التعامل الزوجي في بيت النبوة

إن الإسلام قد منح المرأة مكانة مرموقة، وجعلها شقيقة الرجل أي مساوية له في المرتبة، فلها حقوق وعليها واجبات، وزاد على ذلك أن أوصى الرجل بالرفق بها، وحسن معاملتها. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَأَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"^(١).
في الحديث دلالة للحث على الرفق بالنساء واحتمالهن والوصاة بالنساء يدل على أنه لا يستطيع تقويمهن وفيه أيضا تبشير بالأجر والثواب لمن تحمل وصبر وأحسن إليهن^(٢).

وإن المطلع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع زوجاته ليدرك أنه خير زوج شهدته الأرض، فلم تشهد الإنسانية بشراً مثله، متألقاً في تعاملاته، شمولياً في حُسن أخلاقه.

العدل بين الزوجات :

– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ «يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ، فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهُ يَوْمًا تِسْعُ نِسْوَةٍ»^(٣).
ولا يخفى ما في هذا العمل الذي كان يقوم به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المشقة والتعب ولكنه أثر القيام به؛ لتحقيق العدل بين زوجاته^(٤).

الثقة بالزوجة:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَنَرَاتِهِمْ»^(٥).
ففي الحديث دلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن الزوج لا بد وأن يثق بزوجه ويحسن بها الظن وأن من الآداب النهي عن الطروق ليلاً وأن طروقه إياهم ليلاً هو وقت خلوة وانقطاع مراقبة الناس بعضهم بعضاً، فكان ذلك سبباً لسوء ظن أهله به، وكأنه إنما قصدهم ليلاً ليجدهم على ريبة حين توخى وقت غرتهم وغفلتهم. ومعنى الحديث النهي عن التجسس على أهله، ولا تحمله غيرته على تهمتها إذا لم يأنس منها إلا الخير^(٦).

مدح الزوجة:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَلَ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ التَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(٧).
وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمدح عائشة بذكر فضلها على النساء وأنها خير امرأة من النساء جميعاً، وينبغي للزوج أن يقتدي ولكن في حدود الشرع فيندب له مدح زوجته^(٨).

إعلان حب الزوجة:

عَنْ أَبِي عُمَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مَنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: تُمْ مَنْ؟ قَالَ: «عَمْرُ» فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتَ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ^(٩).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه". كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ٢٦/٧ برقم ٥١٨٦. ومسلم في "صحيحه". كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ١٠٩١/٢ برقم ١٤٦٨.

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٩٥/٧)، شرح النووي على مسلم (٥٨/١٠)، فتح الباري لابن حجر (٢٥٣/٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه". كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق، ٦٥/١ برقم ٢٨٤، ومسلم في "صحيحه". كتاب الحيض، باب الطواف على النساء بغسل واحد، ٢٤٩/١ برقم ٣٠٩.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٤١/٧)، فتح الباري لابن حجر (٣٧٨/١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، لِمَنْ وَرَدَ مِنْ سَفَرٍ. ١٥٢٨/٣، برقم ٧١٥.

(٦) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٦٩/٧).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها. ٢/٥، برقم ٣٧٦٩. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ١٨٩٥/٤، برقم ٢٤٤٦.

(٨) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٨٥/٩)، فتح الباري لابن حجر (٥٥١/٩).

وفيه بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن عن حبه لعائشة وحبه لأبيها رضي الله تعالى عنهما ، وهذا يدل على أن الزوج يجوز له أن يعلن ويخبر الناس بحبه لزوجته^(٢).

الاتكاء على الزوجة:

عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ يَتَكَيُّ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ»^(٣).

ففي الحديث أن مما يؤلف قلب الزوجة في وقت حيضها على جهة الخصوص أن يتكى الزوج عليها حتى لا تظن أن يكره القرب منها في هذه الفترة^(٤).

التزهر مع الزوجة والحديث معها:

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَفْرَعُ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْفُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَا تَرَ كَيْبِنَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرِكَ، تَنْطَرِينِ وَأَنْطَرُ؟ فَقَالَتْ: بَلَى، فَكَرَبْتُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلُوا، وَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ رِجْلَيْهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدُعُنِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا^(٥).

فعلى الزوج أن يخرج لمواطن النزهر وإذا كان له أكثر من زوجة فيقرع بينهما قرعة لتخرج إحداهن معه للنزهر.

تقبيل الزوجة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ إِحْدَى نِسَائِهِ، وَهُوَ صَائِمٌ» ثُمَّ تَضَحَّكُ^(٦).

وفيه بيان أنه إذا جاز للزوج أن يقبل زوجته في الصيام فتقبيلها في غير رمضان أولى وهذا التقبيل من مقدمات الجماع وفعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا يدل على جوازه لمن يملك اربه في الصيام^(٧).

الأكل والشرب من موضع أكل الزوجة وشربها:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَتَاوَلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعُرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَتَاوَلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيٍّ^(٨)».

ومن الأمور التي ينبغي للزوج مراعاتها أن يأكل ويشرب من الموضع الذي تشرب منه زوجته وكان يفعل النبي هذا حتى في وقت الحيض ومعلوم أن المشركين كانوا إذا حاضت المرأة لا يأكلون ولا يشربون معها في فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مخالفا لعاداتهم فهذا الفعل يؤثر جدا في النساء في هذا الوقت إذ أنهن يعلمن ما يقع مع النساء المشركات وما يفعله المسلمون معهن فيكون لذلك الأثر الكبير معهن.

الرضى والسرور عند اجتماع الزوجة بصديقاتها:

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَفْقِمَعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّهُنَّ إِلَيَّ»^(٩).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه". كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل. ١٦٦/٥، برقم ٤٣٥٨. ومسلم في "صحيحه". كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٨٥٤/٤، برقم ٢٣٨٤.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٢٦/٧)، و عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/١٨)، و فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٩/٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض. ٦٦/١، برقم ٢٩٧. ومسلم، كتاب الحيض، باب اتكاء الرجل في حجر زوجته وهي حائض وقراءة القرآن. ٢٤٦/١، برقم ٣٠١.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٣/٢١١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرأ. ٣٣/٧، برقم ٥٢١١. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ١٨٨٩/٤، برقم ٢٤٤٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصيام، باب بيان أن الأقبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته. ٧٧٦/٢، برقم ١١٠٦.

(٧) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/٢١٥).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الحيض، باب سور الحائض. ٢٤٥/١، رقم ٣٠٠.

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ١٨٩٠/٤، برقم ٢٤٣٩.

فالزوج المحب لزوجته يحب من تحبه ويبغض من تبغض فيحب صديقاتها وأقربائها فإذا زارها أحد أقاربها ومن تحب من صديقاتها يفرح لفرحها وهكذا يفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

معرفة مشاعرها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ^(١).

فعلى الزوج أن يكون عالماً بحال زوجته ومشاعرها وعواطفها في الفرح والحزن وفي الرضا والسخط فإن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يعرف حال عائشة رضي الله عنها في الرضا والغضب.

قال الحافظ: قوله إني لأعلم إذا كنت عني راضية الخ يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم ينقل^(٢).

وجوابها: (ما أهجر إلا اسمك) هذا الحصر من اللطف في الجواب؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية من الغضب الذي يسلب العاقل اختياره، لا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران؛ لتدل بها علي أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه^(٣).

وضع الطعام في فم الزوجة:

عَنْ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالتُّلْتُ؟ قَالَ: «التُّلْتُ والتُّلْتُ كثيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ، يَنْفَعُ بِكَ نَاسًا، وَيُضْرَبُ بِكَ آخَرُونَ»^(٤).

بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أن أبواب الصدقات التي يؤجر عليها العبد إن صحت نيته إطعام الزوجة والنفقة عليها ووضع اللقمة في فمها .

والحديث معناه: أن الإنسان حتى في الأمور التي للنفس فيها حظوظ إذا احتسب الأجر عند الله عز وجل فإنه يؤجر على ذلك، بل الأمور الواجبة على الإنسان من النفقات الواجبة من الناس من يحتسب الأجر ويرجو الثواب، ومنهم من يكون غافلاً عن ذلك ولا يفكر، ومن الناس من يمنع الحق الواجب عليه، ولا يخرج إلا عن طريق القاضي أو السلطان، مثل هذا لا يحصل أجراً على النفقة التي ألزم بها من جهة السلطان وهو غير منشرح الصدر لها، والإنسان الذي يؤدي ما هو واجب عليه، وما هو متعلق بحظ نفسه حتى مع أهله وزوجته فإنه يكون مأجوراً على ذلك^(٥).

إحضار متطلباتها:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقَشِيرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقَّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تَفْجَحْ، وَلَا تَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن. ٣٦/٧، برقم ٥٢٢٨. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ١٨٩٠/٤، برقم ٢٤٣٩.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣٢٦/٩).

(٣) ينظر: شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (٧/٢٣٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل. ٦٢/٧، برقم ٥٣٥٤.

(٥) ينظر: شرح سنن أبي داود للعباد (١٠/٣٣٦)، بترقيم الشاملة (ألبا).

(٦) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها. ٢٤٤/٢، برقم ٢١٤٢. قال الألباني: حسن صحيح.

وفيه أن على الزوج أن يأتي للزوجة بمتطلباتها من الطعام والشراب والكساء من الثياب وغير ذلك.

اصطحاب الزوجة أثناء السفر:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَتَّبِعِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

فالزوج المحب لزوجته يحب أن تلازمه في كل وقت ومكان في سفره وارتحاله وفي اقامته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرع

بين نسائه لترافقه إحداهن في سفره.

يشاركها همومه ويستشيرها:

وذلك في قصة الحديبية عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ احْلُقُوا» فلم يبق منهم أحد، قَلَمًا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلْمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرُجُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ، وَتُدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بَدَنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَتَحَرَّوْا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا... الحديث^(٢) .

ففي الحديث أن أم سلمة لما أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم بما أستشارها فيه أخذ بقوله وكان نافعاً لأصحابه فاقتدوا به

جميعاً وفيه أن الزوج ينبغي أن يستشير زوجته في أموره .

مناداتها بما يشعرها أنها محببة لديه:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ أَبُو سَلْمَةَ: إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُفْرِتُكَ السَّلَامَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى «شَرِيذُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

قوله: (يا عائش) فهذا اللفظ يدل على الإكرام والملاطفة، وحسن التبعل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهله، فهذا

منهج للمسلم إذا نادى زوجته، أن يجعل في ندائه من الكلمات ما ينبئ عن شيء من المحبة والملاطفة، فالغلظة والوحشية في النداء

بأسلوب القسر والقهر من الرجل أو بأسلوب السخرية والتهمك من المرأة تفسد المحبة، وتقطع أواصر الألفة بين الزوج والزوجة، فتتخبر

الزوجة أحب الأسماء إلى زوجها، ويتخير الزوج أحب الأسماء لزوجته، ويكون كما قال عمر: (إن مما يبعث المودة والمحبة أن ينادي

المسلم أخاه بأحب الأسماء إليه) ، فهي إحدى الثلاث التي تريد من ود المسلم لأخيه المسلم، فكيف بالزوجة مع زوجها؟! فمن الأخطاء

أن يختار الزوج لزوجته كلمة يجرحها بها، ويجعلها طريقاً للتعبير والانتقاص منها، ومن الأخطاء كذلك أن الزوجة تختار لزوجها كلمة

تنتقصه أو تحقره بها، وكان بعض العلماء يقول: الأفضل ألا تتاديه وألا يناديها بالاسم المجرد، فمن أكرم ما يكون في النداء النداء

بالكنية، فهذا من أفضل ما يكون^(٤).

الفرح لفرحها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ حَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ

فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرْسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الهبة وفضلها والنحرى عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها وعنفها، إذا كان لها زوج فهو جائز، إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز. ١٥٩/٣. برقم ٢٥٩٣. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ٢٤٤٥/٤، برقم ١٨٩٤/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. ١٩٣/٣، برقم ٢٧٣١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها. ٢٩/٥، برقم ٣٧٦٨. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ١٨٩٦/٤، برقم ٢٤٤٧.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطلان (٣٥٠/٩)، فقه الأسرة (٤/٥)، بترقيم الشاملة (البا).

«مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أُجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَصَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ تَوَاجِدَهُ^(١).

فرح النبي صلى الله عليه وسلم لفرح عائشة رضي الله تعالى عنها وفيه دلالة أن الزوج المحب لزوجته يحرص على فرحها ويفرح إذا فرحت .

رعاية الزوجة بالبقاء معها حتى تصل بيتها:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُبَيْبٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ^(٢) مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَتَقَلَّبُ، فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْلِبُهَا^(٣)، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ الَّذِي عِنْدَ مَنْكَنِ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَفَدَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ» قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلُغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْذَنَ فِي قُلُوبِكُمَا^(٤)».

ففيه أن نبينا صلى الله عليه وسلم قام معها ولم يتركها .

فهنا يطمئن صلى الله عليه وسلم على زوجاته ويتفقد أحوالهن رغم أنه في أول ليلة في زواجه الجديد.

يشارك الزوجة المناسبات السعيدة:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرْنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا اللَّيِّ أَسْأَمُ^(٥)»، فَأَفْذَرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ، الْحَرِيصَةَ عَلَى اللَّهْوِ.

الوفاء للزوجة بعد وفاتها بالإهداء لأصدقائها:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا عَزْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أُرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَائِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْنَاهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا^(٦)».

ففيه أن من وفاء النبي صلى الله عليه وسلم بزوجاته أنه كان يحسن إليها بعد وفاتها.

مساعدة الزوجة في أعباء المنزل:

- سُئِلَتْ عَائِشَةُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ^(٧)».

فكان يقوم صلى الله عليه وسلم في خدمة زوجاته على ما لديه من مشاغل، ومسؤولية تبليغ الرسالة وذلك رحمة بهن، وتعليماً للرجال من أمته برحمة زوجاتهم، وخدمتهن.

الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق:

ليكن هدي الزوج مع زوجته الرفق ولين القول، وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره الناس ونهيه لها، فإن ذلك أبلغ في استمالة قلبها وحصول المقصود منها، قال الله -تبارك وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات. ٢٨٣/٤، برقم ٤٩٣٢. قال الألباني: صحيح.

(٢) * أي: البواقي، جمع غابر. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. ٣٣٧/٣).

(٣) * أي: يرافقها ليوصلها إلى بيتها.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، باب التَّكْبِيرِ وَالنَّسِيحِ عِنْدَ التَّعْجُبِ. ٤٨/٨ برقم ٦٢١٩.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب النكاح، باب نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْحَبَشِ وَتَحْوَهُمْ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ. ٣٨/٧، برقم ٥٢٣٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها. ١٨٨٨/٤، برقم ٢٤٣٥.

(٧) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأذان، باب مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَهْلَهُ فَأَقْبَمَتِ الصَّلَاةَ فَخَرَجَ. ١٣٦/١ برقم ٦٧٦.

فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفُسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾^(١)

وقال- صلى الله عليه وسلم- «ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نساكنكم حقا، ولنساكنكم عليكم حقا، فأما حقكم على نساكنكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»^(٢).

فمن قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا» يتبين حرصه صلى الله عليه وسلم على الإحسان إليهن والرفق بهن. وأكد أهمية الإحسان إليهن بقوله: «ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنساكنكم»^(٣).

فمن هذا القول للنبي -صلى الله عليه وسلم- يتبين أهمية الإحسان إلى النساء فذلك من مكملات الإيمان، كما كان -صلى الله عليه وسلم- يحسن إليهن ويحث على الرفق بهن فقد كان -صلى الله عليه وسلم- في مسير له فحدا الحادي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارفق يا أنجشة، ويحك بالقوارير»^(٤) يعني النساء.

قال البغوي- رحمه الله تعالى:- لنت لهم أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد^(٥).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك لأن الفظاظلة هي الشراسة والخشونة في المعاشرة، وهي القسوة والغلظة، وهما من الأخلاق المنفرة للناس لا يصبرون على معاشرة صاحبهما وإن كثرت فضائله، ورجيت فوائده، بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه لا يباليون ما يفوتهم من منافع الإقبال عليه، والتعلق حوالبه، وإذا لفاتهم هدايتك، ولم يبلغ قلوبهم دعوتك^(٦).

وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يعلم السيدة عائشة - رضي الله عنها- ويأمرها بالرفق في الأمور كلها فعن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُزْعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٧).

ولق دعا النبي- صلى الله عليه وسلم- لمن رفق بأتمته فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبِكُمْ لَكُمْ فِي عَزَائِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِمَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَحْيَى أَنْ أُحْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(٨).

١ آل عمران : ١٥٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٣/ ٤٥٩)، رقم (١١٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج (١/ ٥٩٤)، رقم (١٨٥١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٣٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٣/ ٤٥٨)، رقم (١١٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٨٣)، رقم (٤١٧٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: المعارض مندوحة عن الكذب (٨/ ٤٧)، رقم (٦٢٠٩) ومسلم في كتاب الفضائل، باب في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء وأمر السواك مطاياهن بالرفق بهن (٤/ ١٨١١)، رقم (٢٣٢٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٥٢٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣١١).

(٦) ينظر: تفسير المنار (٤/ ١٦٣).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٤/ ٢٠٠٤)، رقم (٢٥٩٤).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٣/ ١٤٥٨)، رقم (١٨٢٨).

وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعة، فقال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: " قلت: وعليكم^(١).

المبحث الثاني

أخلاقيات التعامل في تربية الأولاد

إن الأبناء هم فلذات الأكباد، وقد أولاهم الإسلام رعاية كبيرة وجعلهم أمانة في أعناق الآباء والأمهات لينشئوهم تنشئة صحيحة تعود عليهم وعلى المجتمع بالخير الكثير.

وقد فطر الله تعالى الآباء على حب الأبناء لتستمر البشرية، وقد ذكر الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرعاية الوالدية بقوله: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ^(٢)».

فترية الأبناء مسؤولية مشتركة بين الزوجين، ومن واجبات الأهل توفير العناية والرعاية للأبناء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣)؛ فتكون التربية بالرحمة بالأبناء، وتقديم العطف والحنان لهم والرفق بهم، واللعب واللهو معهم، وتأديبهم بمراعاة الجوانب النفسية والتدرج في العقاب، والعدل بينهم، وتعليمهم الشؤون الدينية.

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرحم الناس بالناس، وأعطف الناس على الناس، فكيف مع أبنائه؟ وقد رزقه الله سبحانه سبعة أبناء: ثلاثة ذكور، وأربع إناث، وهم:

القاسم: وهو الذي يكنى به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال: أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعبد الله: ويقال له: (الطاهر والطيب)، وإبراهيم: وهو أصغر أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والبنات هم: زينب رضي الله عنها. ورقية رضي الله عنها. وأم كلثوم رضي الله عنها. وفاطمة رضي الله عنها، وهي أحبهن إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجميع أولاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة بنت خويلد القرشية رضي الله عنها إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من مارية القبطية رضي الله عنها. ومات الذكور في سن الطفولة المبكرة، والبنات تُوفين في ريعان الصبا ولم يبق من أبنائه إلا فاطمة الزهراء رضي الله عنها التي توفيت بعده بقليل^(٤).

ومن أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبنائه:

١- فرحه صلى الله عليه وسلم بولادة ابنه إبراهيم من مارية القبطية، وقد سماه إبراهيم، " تيمناً بأبيه إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام" فقد قارب الستين من عمره وفقد أولاده ما عدا فاطمة الزهراء رضوان الله عليها.

وعاش إبراهيم ابن الرسول سنة وبضع شهور يحظى برعاية رسول الله، ولكنه مرض قبل أن يكمل عامه الثاني، وذات يوم اشتد مرضه، ومات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وحزنت مارية حزناً شديداً على موت إبراهيم، وكذلك أبوه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنْرًا^(٥) لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح، نحو قوله: السام عليك (١٦/٩)، رقم (٦٩٢٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/١٧٠٦)، رقم (٢١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن. ٥/٢ برقم ٨٩٣.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٤) المددش لابن الجوزي، ص ٥٠.

(٥) * زوج مرضعته، وهي حولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عِنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ^(١)».

٢- دفاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فاطمة رضي الله عنها بمنع علي رضي الله عنه من الزواج عليها؛ رعاية لخطرها.

ورد عن الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يَنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَأَمَّا ابْنَتِي بَضْعَةُ^(٢) مِنِّي، يَرِيْبُنِي مَا رَاتِبَهَا وَيُوْذِنُنِي مَا آدَاهَا^(٣)».

٣- حكمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن تصرفه لتوتر حصل بين ابنته فاطمة رضي الله عنها وصهره علي رضي الله عنه، ومعالجته بحكمة، ومحاولة الإصلاح عبر مداعبته وملاطفه؛ وذلك حفاظاً على استمرار الأسرة.

فقد جاء رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنْتُ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاصْبِنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ^(٤) عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانَ: «انظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «فَمُ أَبَا تُرَابٍ، فَمُ أَبَا تُرَابٍ^(٥)».

٤- عدم تهاونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحق، رغم شفقتة على ابنته فاطمة رضي الله عنها وهي تشتكي تعبها في خدمة زوجها علي بن أبي طالب وبيتها، عندما لم يلب طلبها بإعطائها خادماً من السبى لمساعدتها؛ لأن في المسلمين من هو أحقّ به منها، وأرشدوا زوجها علياً رضي الله عنهما إلى خير من ذلك وهو:

«أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَنْتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَيَلْعَبُهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أُوَيْمْنَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ^(٦)».

٥- إظهار الود والاحترام للأبناء، وهذا ما كان منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ابنته فاطمة رضي الله عنها حيث «كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا^(٧)».

٦- تربيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة رضي الله عنها من قبل موته بقليل، حيث أسر إليها كلاماً لم يسره لأحد غيرها، وفي هذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟، ثُمَّ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَجَّكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرِحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حَتَّى فِضَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسْرَ إِلَيَّ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَاضِرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي». فَبَكَتْ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنِ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ» فَضَجَّكَتْ لِذَلِكَ^(٨)».

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجنائز، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ». ٨٣/٢ برقم ١٣٠٣.

(٢) * البضعة بالفتح: القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي أنها جزء مني، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. ١٣٣/١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ١٩٠٢/٤ برقم ٢٤٤٩.

(٤) * من القيلولة وهي النوم نصف النهار (بعد الظهر).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد. ٩٦/١ برقم ٤٤١.

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها. ٦٥/٧ برقم ٥٣٦١.

(٧) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام. ٣٥٥/٤ برقم ٥٢١٧ وقال الالباني: صحيح.

(٨) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ٢٠٣/٤ برقم ٣٦٢٣ و ٣٦٢٤.

المبحث الثالث

أخلاقيات التعامل مع الوالدين بما لهم من حقوق على الأبناء

لم يكن للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدان يقوم بإكرامهما؛ بسبب وفاة والده وهو لا يزال جنيناً، وفقد أمه في سن مبكرة. وعند ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقدت أمه الحليب بعد سبعة أيام، فأرضعته "ثويبة" مولاة أبي لهب أياماً قلائل، ثم أرضعته حليلة السعدية وسهرت عليه، وكانت تساعد في حضانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنتها الشيماء أخت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة.

ومكث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مرضعته حليلة السعدية مدة أربع سنوات، ثم عاد إلى أمه وبقي عندها ترعاه برفقة أم أيمن. وبعد وفاة أمه حضنته أم أيمن "بَرَكَهُ الحبشية" مولاة أبيه. وقال عبد المطلب لأم أيمن: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإنني وجدته مع غلمان قريب من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة، حتى مات جده عبدالمطلب وله من العمر ثماني سنين، فأوصى أبا طالب بحفظه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله شبعوا^(١).

-وقد قامت برعايته زوجة عمه فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، فعن أنس بن مالك قال: «لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمِّ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا، فَقَالَ: " رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُمِّي، كُنْتُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وَتَشْبَعِينَ، وَتَعْرِيزِينَ وَتَكْسِبِينَ، وَتَمْنَعِينَ نَفْسَكَ طَبِيًّا وَتَطْعَمِينَ، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ^(٢) ". ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَلَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءَ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ، وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفَرُونَ، فَحَفَرُوا قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ ثُرَائِبَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاضْطَجَعَ فِيهِ، فَقَالَ: " اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي؛ فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ". وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٣) ».

- وأيضاً عن ابن عباس قال: «لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَلَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمِيصَهُ وَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ، وَاضْطَجَعَ فِي قَبْرِهَا، فَلَمَّا سُويَ عَلَيْهَا التُّرَابُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتَكَ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ! فَقَالَ: " أَلْبَسْتُهَا فَمِيصِي؛ لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا؛ خُفَّتْ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ؛ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ صَنِيعًا بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ ».

وبهذا الوفاء كرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمه فاطمة بنت أسد، ولم ينس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُكرم حضاناته وأن يُحسِنَ إليهنَّ حينما كبر.

- فهذه مثلاً حليلة السعدية حينما قدمت مكة، جاءت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن تزوج بخديجة فشكت إليه الجذب، فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بغيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة، فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها^(٤) مما أدخل السرور إلى قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيحدثنا الصحابي أبو الطُّفَيْلِ قَالَ: «كُنْتُ غُلَامًا أَحْمَلُ عُضْوَ الْبَعِيرِ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقْسِمُ حَمًا بِالْجِعْرَانَةِ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَبَسَطَ رِدَاءَهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ^(٥) ».

(١) البداية والنهاية لابن كثير. ١٥٢/٢.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي. ٢٥٦/٩.

(٣) مجمع الزوائد للهيتمي. ٢٥٧/٩.

(٤) صفوة الصفوة لأبي الفرج. ٦٢/١.

(٥) مجمع الزوائد للهيتمي. ٢٥٩/٩.

ولما توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصنعا بها مثل ذلك^(١).

- وأيضاً ثويبة التي أرضعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أياماً قلائل، وهي مولاة لأبي لهب، وقد اُخْتُلِفَ في إسلامها، ويغلب الرأي عند علماء السيرة أنها لم تُسَلِّم، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِلُهَا وهو بمكة، فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوة وصلّة، حتى جاء خبر موتها في السنة السابعة من الهجرة^(٢).

فهذا الكرم والأخلاق النبوية من الرسول الرحيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع من سهر عليه في صغره، يدل على اعترافه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفضل لكل من أسدى إليه معروفاً، سواء كان مسلماً أم غير مسلم.

- وكذلك أم أيمن التي كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، وكانت خير حاضنة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة أمه.

حينما كبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إحسانه لها من نوع آخر، فأعتقها ثم زوجها زيد بن حارثة، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأم أيمن: "يا أمه، ويقول: هذه بقية أهل بيتي"^(٣).

وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزورانها كما كان يفعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أنس، قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: " انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَبَّجْنَهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا"^(٤).

وقد علّم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبر هذه المواقف أبناء أمته كيفية حفظهم معروف كل من ساهم في تربيته وتنشئتهم منذ الصغر، وعلمهم وجوب مكافئتهم على ذلك في الحياة بكل وسيلة ممكنة، ويعد الممات بالدعاء والتّرحّم على المسلمين منهم.

الخاتمة

من أبرز ما يمكن ذكره في هذه الخاتمة ما يأتي:

- ١- من خلال الاطلاع على ما ورد من أحاديث وأخبار تتضمن تعامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أسرته، يمكن بعد التأمل والدراسة استخراج منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمن أصولاً وقواعد، وأساليب كان يراعيها ويتبعها في تعامله مع زوجاته وبناته، ومن قاموا برعايته.
- ٢- أن حُسن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع زوجاته كان له الأثر الواضح في صلاح زوجاته.
- ٣- أن في ثنايا السيرة العطرة كثيراً من الدروس الاجتماعية والتفاعلية التي كانت تحدث في بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع زوجاته وأولاده، ومن قام برعايته.
- ٤- حسن معاشرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوجاته والعمل على إسعادهن.
- ٥- حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إعطاء كل ذي حق حقه.
- ٦- استخدامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق القوامة التي منحها الله إياه على وجهه الصحيح، فكان خير الأزواج لأهله.

التوصيات:

- ضرورة الوقوف ضد التيارات المختلفة من الداخل أو الخارج في مهاجمة الدين وأهله؛ نتيجة تصرفات فردية مع أسرهم ليس لها علاقة بالمنهج الرباني.
- وضع مقرر خاص عن أخلاق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكريمة ليُدرس في جميع المراحل الدراسية؛ بهدف الاقتداء بالنبي

(١) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض د. أحمد العمري، ص ٣٥٥.

(٢) صفوة الصفوة لأبي الفرج، ٦٢/١.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني انظر لمزيد من التفصيل، ٨٨/٧ برقم ٣٥٢٩.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها، ١٩٠٧/٤ برقم ٢٤٥٤.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّعَامُلِ؛ لَتَنْتَشَأَ أَجْيَالُنَا عَلَى أَخْلَاقٍ حَمِيدَةٍ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، فَيَتَحَصَّنُونَ مِنْ أَغْلَاطٍ أَدَّتْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَشْكَلاتِ.

- إعداد برامج مرئية ومسموعة تُخصَّصُ لكل شريحة من شرائح المجتمع وتقديمها لهم؛ لتضع بين أيديهم هدي وأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصورة ميسرة، وتدلهم على حُسْنِ الاقتداء به، وإزالة ما علق في أذهان العامة من بعض العادات والتقاليد التي تدعي أنها ملتزمة بالمنهج الإسلامي.

- تأليف بحوث في هذا الموضوع، وإصدار نصائح وتوجيهات وتزويد كلٍ من:

أ - الجمعيات الاجتماعية المختصة بالزواج والتي تعقد دورات للمتزوجين قبل الزواج.

ب- مأذوني عقود النكاح؛ وتسليمها للعروسين قبل الزواج؛ ليعلموا حقوقهم وواجباتهم، ويقتدوا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع أسرته، وجعل هدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبراساً يهتدى به في جميع المواقف.

فهارس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، "البداية والنهاية". (د.ط، دار الفكر، ١٤٠٧هـ).
- ٣- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- ٤- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. "سنن أبي داود"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).
- ٥- العمري، أحمد جمال. "السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض". (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م).
- ٦- أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد. "صفة الصفوة". تحقيق: محمود فاخوري، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- ٧- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. "فتح الباري". (د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
- ٨- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد". تحقيق: حسام الدين القدسي. (د.ط، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- ٩- ابن الجوزي، جمال الدين بن علي. "المدحش". تحقيق: د. مروان قباني، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- ١٠- القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- ١١- بدوي، أحمد. "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية". (ط١، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٣م).
- ١٢- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري. "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. (د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).